الشعر السياسي:

شعر الشيعة

يرى الدارسون أن "شعر الشيعة" يمثل انعكاسا أمينا لاتجاههم السيسي و المنهجي؛ كشف خلاله الشعراء عن مبادئهم التي آمنوا بها، و دافعوا عنها من أجل تحقيقها. و عبّروا بالموازاة من ذلك عن حبهم لآل البيت الذي تغلغل في نفوس "الشيعة" و مشاعرهم، حتى جعلوه عقيدة من عقائدهم المذهبية على أساس أنه مظهر قوي لحبهم الشديد لله تعالى ورسوله عليه السلام؛ تكفّر بسببه الذنوب والسيئات.

و قد تجلى هذا الحب الجارف الذي يكنّه شعراء "الشيعة" لآل البيت ـ بشكل صريح أو ضمني ـ في سائر فنونهم الشعرية: الاحتجاج لآل البيت، المديح، الهجاء والرّثاء.

أ. الاحتجاج لأهل البيت:

دافع شعراء "الشيعة" عن مشروعية آل البيت في الخلافة، و احتجوا لها باعتبارها حقا إلهيّا يتوارثها العلويون دون سواهم، متهمّين الأمويين باغتصابها من أصحابها الشرعيين، و الاستيلاء عليها بقوة و قهرا.
تذكر المصادر أن "الكُمَيت بن زيد الأسَدِيَّ" [126 هـ] هو أول من نهج أسلوب الاحتجاج في شعره، ومهَّده لشعراء "الشيعة". فقد قدد "الكُمَيت" في قصائده "الهاشميات" أن "بَني هاشم" أحقّ بوِراثَة خلافة الرسول عليه السلام، لأنهم أقرب الناس إليه، و ناقش ما زعمه "الأمويّون" من أن "النبي" لا يُورَث، و اتهمهم بالكذب والخداع والتناقض حين ادّعوا في نفس الوقت أن الخلافة هم وَرَثَتُها. أكّد أنه لو لم تكن الخلافة موروثة، ولكانت حقّا يُطَالِبُ عليه المسلمون من مختلف القبائل؛ بل لكان "الأنصار" أَوْلى الناس بها لأنهم آووا الرسول عليه السلام و آزروه في نشر رسالة الإسلام.
و ينتهي "الكُمَيت" من هشا الجدل إلى نتيجة منطقية، مفادها أن الرسول عليه السلام يُورَث، و أن الهاشميين هم ورثة الخلافة الشرعيّون، معزِّزاً احتكامه إلى العقل و المنطق بأدلةّ اَستقاها من آيات وردت في القرآن الكريم تُثبت من المنظور المذهبي للشيعة حقهم في الخلافة.

ب. المديح

دَفَعَت المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها آل البيت و المحبة الخالصة لهم؛ شعراء "الشيعة" إلى الإكثار من الثناء عليهم، خاصة أبناء علي ـ كرم الله وجهه ـ و حفدته.
فبالإضافة إلى معاني المديح المتداولَة بين الشعراء القدامى كالشجاعة وشرف الأصل ورجاحة العقل والمروءة والكرم والعفة والحلم... نصَبَّ اهتمام شعراء "الشيعة" على الإشادة بمزايا آل البيت الدينية،

فأضافوا عليهم صفات التقوى والورع والتمسك بالدين و الالتزام بأحكامه و الزُّهد في المطامع والملذات بحيث يقضون نهارهم في جهاد و صوم، ويقطعون ليلهم في صلاة و مُدارسة القرآن العزيز.
و إلى جانب ذلك، فإنهم يتَّصِفون بالجلالة و المهابة و العلم و الهداية و الصدق في القول و الفعل؛ والمهارة في سياسية الرَّعيَّة.
عموما، فإن شعراء الشيعة أسبغوا على آل البيت من المزايا ما جعلهم المثل الأعلى للفضائل الدينية والسلوك الإنساني.

ج. الهجاء:

هجا شعراء "الشيعة" خصومهم؛ غير أن معظم هجائهم توجهوا بل إلى الأمويين لاغتصابهم الخلافة من آل البيت، فوصفوهم بالخروج عن الدين و الاستهتار بقيمه، وعدم العمل بالحدود والأحكام التي قررها القرآن، بل إن شروط الخلافة التي يجب أن تتحقق في من يتولى أمور المسلمين ال تتوفر فيهم؛فاتهموهم بالغدر و الخيانة، والطغيان والظلم، والتهافت على المنافع والمنافع، والاستئثار بالسلطة عن طريق كل ذلك... و ماسواها من معاني الهجاء التي يمكن إجمالها في أنهم أهل بِدَعٍ و ضلالة، لا دين لهم ولا خلق في رعاية حقوق المسلمين ومصالحهم.
والمُلاحظ أن هجاء "الشيعة" تمتزج فيه روح الحقد الشديد على حُكَّام "بني أُمَيَّة" بالرّجاء في هلاكهم حتى تؤول السلطة إلى آل البيت الّذين شرّع الله تعالى أحقيّتها لهم. ويبدوا أن هجاء الشيعة يتخذ دون شك منحىً سياسيا تطغى عليه نزعة دينية واضحة، ولا أثر فيه لخصومات تصدر من نزعة فندية أو قبلية ـ عصبية.

د.الرثاء:

يعد الرثاء أغزر أشعار الشيعة، وأبرز موضوعاتها، وأقوالها تعبيرا عن حبهم الخالص لآل البيت، وإيمانهم العميق بعقيدتهم المذهبية.
وتمثل مأساة معركة كربلاء (10 محرم 61 هـ) التي انتهت بمصرع "الحسين بن علي"ـ رضي الله عنه؛ جرحا داميا أثار في الشيعة مشاعر الأسى والندم على عدم مشاركتهم في تلك المعركة ومؤازرتهم له ضد الأمويين المعتدين. وقد دفعت هاته المأساة ـ وغيرها من المآسي التي لحقت بآل البيت ـ الشعراء إلى بكاء شهداء أئمة الشيعة بكاءً حارا في مراثي عديدة، أظهروا خلالها حزنهم و حصرتهم على ما تعرضوا له من نكبات و محن، وقسوة واضطهاد من طرف الأمويين رموز الضلال والظلم؛ وأبرزوا إلى جانب ذلك مدى خسارة المسلمين و هلاكهم بفقد الأئمة الطاهرين معبرين عن غضبهم الشديد المتمثل في تهديد المعتدين الطغاة، والتحريض على الثورة عليهم انتقاما للشهداء، وفي مقدمتهم جميعا "الحسين" ـ رضي الله عنه ـ ...

خصائص شعر الشيعة:

نلاحظ أن أهم ما ميّز شعر الشيعة الخصائص التالية:

1ـ تسخير شعرهم في خدمة مبادئهم السياسية والمذهبية. ولهذا، يُعتبر شعر نضال من أجل تحقيق تلك المبادئ التي آمنوا بها ودافعوا عنها بقوة.

2ـ تأثُّر معانيه وأفكاره بالإسلام تأثرا واضحا انعكست بموجبه تعاليمه وقيمه على موضوعات شعرهم، وذلك وفق عقيدتهم في التشيُّع التي استغلوا في نطاقها تأويل النصوص الدينية لتأييد المبادئ والأهداف التي كانوا يسعون إليها.

3ـ غلبة الحزن والأسى على مختلف موضوعاتهم؛ وهما شعوران منطويان على حقد بالغ على الأمويين، ورغبة ملحة في الحد من هيمنتهم غير المشروعة على السلطة لخلافة المسلمين. ولا شك في أن مشاعر الحزن والأسى اللذين يتغلان ثنايا تلك الموضوعات، هما أبرز ما تميزت به أشعار الشيعة.

نماذج من شعر الشيعة.

أ- الاحتجاج لآل البيت: يقول الكميت بن زيد الأسدي: [الهاشميات: ص55-65].

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمَ[1] آيَةً = تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ..
وَقَالُوا وَرِثْنَاهَا أَبَانًا وَأُمَّنَا[2] = وَمَا وَرَّثَتْهُمْ ذَاكَ أُمٌّ وَلَا أَبُ..
وَلَكِنْ مَوَارِيثُ ابْنَيْ آمِنَةَ الَّذِي = بِهِ دَانَ شَرْقِيٌّ لَكُمْ وَمُغَرِّبُ..
يَقُولُونَ: لَمْ يُورَثْ وَلَوْلَا تُرَاثُهُ = لَقَدْ شَرِكَتْ فِيهِ بَكِيلٌ[3] وَأَرْحَبُ...
وَمَا كَانَتِ الْأَنْصَارُ فِيهِ أَذِلَّةً[4] = وَلَا غُيِّبًا عَنْهَا إِذِ النَّاسُ غُيَّبُ...
فَإِنْ هِيَ لَمْ تَصْلُحْ لِحَيٍّ سِوَاهُمُ = فَإِنَّ ذَوِي الْقُرْبَى أَحَقُّ وَأَقْرَبُ..

ب المديح: يقول الكميت بن زيد الأسدي: [الهاشميات: ص19-23].

.. بَلْ هَوَايَ الَّذِي أَجِنُّ[5] وَأُبْدِي = لِبَنِي هَاشِمٍ فُرُوعِ[6] الْأَنَامِ
لِلْقَرِيبِيِّ مِنْ نَدًى وَالْبَعِيدِ يَنْـ = ـتَمِي فِي الْجُورِ فِي عُرَى الْأَحْكَامِ
وَالْمُصِيبِيِّ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّا = سُ وَمُرْسِي قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ
وَالْغُيُوثِ الَّذِينَ لَوْ أَمْحَلَ[7] النَّا = سُ فَمَأْوَى حَوَائِضِ[8] الْأَيْتَامِ...
رَاجِحِي الْوَزْنِ كَامِلِي الْعَدْلِ فِي السِّـ = ـيرَةِ طَيِّبِينَ[9] بِالْأُمُورِ الْجِسَامِ...
غَالِبِيِّينَ هَاشِمِيِّينَ فِي الْعِلْـ = ـمِ رَبَوْا[10] مِنْ عَطِيَّةِ الْعَلَّامِ...

- ويقول "أيمن بن خريم" في "بني هاشم":

نَهَارُكُمْ مُكَابَدَةٌ وَصَوْمٌ = وَلَيْلُكُمْ صَلَاةٌ وَاقْتِرَاءُ[11]
وَلِيتُمْ بِالْقُرْآنِ وَبِالتَّزَكِّي = فَأَسْرَعَ فِيكُمْ ذَاكَ الْبَلَاءُ*
أَأَجْعَلُكُمْ وَأَقْوَامًا سَوَاءً = وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءُ...[12]

الشرح: 1- آل حاميم: هي السّور المبدوءة بـ "حمٓ"، وهي سبع سُوَر، والآية المقصودة من البيت، هي قوله تعالى في سورة الشورى: "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى".
2- "ورثناها أبانا وأمّنا": يريد: ورثناها عن الخليفة "عثمان بن عفان" لانتمائه إلى "بني أميّة".
3- "بكيل وأرحب": عشيرتان من "همدان" لا أثر لهما يُذكر بين القبائل والمراد: أن الخلافة هي حقّ لكل قبيلة، سواء كانت مشهورة أو مغمورة، أي أنها حقّ لجميع المسلمين.
4- أذلّة، أي أن الأنصار لم يكن لهم الحظ الوفير في الخلافة. 5- أجنّ: أخفي وأسرّ.
6- "فروع الأنام": أرفع الناس، وأعلاهم منزلة. 7- أمحل الناس: أصابهم الجدب.
8- الحوائض: الأمهات. 9- طيّبي: حاذقين، خبيرين.
10- ربَوْا: زادوا، والمراد: إن الله تعالى خصّهم بفضيلة العلم، ووهبهم مزاياها.
11- اقتراء، أي ترتيل للقرآن العزيز وتدبّر لآياته وتأمّل فيها.
12- "أأجعلكم وأقواما... الهواء": يوازن الشاعر بين "بني هاشم" و"بني الأمويين" حيث يرى أن الفرق بينهما هو فرق ما بين السماء والأرض في مزاياه وصفاته، مشيرا بذلك إلى أن "الأمويين" هم أدنى الناس منزلة ومكانة. * يقصد أن انقطاع "بني هاشم" للعبادة والتنسك صرفهم عن طلب الخلافة.

Scanned with CamScanner

ج - الهجاء : يقول "الكميت بن زيد الأسدي" : [الهاشميات : 198 - 199].

فَقُلْ لِبَنِي أُمَيَّةَ حيثُ حَلُّوا = وإنْ خِفْتَ المُهَنَّدَ(1) والقَطِيعَا(2)..
أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَعْتُمُوهُ = وأَشْبَعَ مَنْ بُجُوركُمُ أُجِيعَا..
ويَلْعَنُ فَذَّ أُمَيَّةَ(3) حيثُ جَارَا = إذا سَاسَ البَرِيَّةَ والخَلِيعَا(4)
بِمَرْضِيِّ السِّيَاسَةِ هَاشِمِيٍّ = يَكُونُ حِيَالَ(5) أُمَّتِهِ رَبِيعَا..

- ويقول "أبو دهبل الجمحي" :

وَمَا أَفْسَدَ الإسْلَامَ إلَّا عِصَابَةٌ = تَآمَرَ(6) نَوْكَاهَا(7) وذَابَ نَعِيمُهَا
فَصَارَتْ قَنَاةُ الدِّينِ فِي كَفِّ ظَالِمٍ = إذَا اعْوَجَّ مِنْهَا جَانِبٌ لا يُقِيمُهَا.

د - الرثاء : يقول عُبَيْدُ اللَّهِ بن الحُرّ الجُعْفِي في رثاء "الحسين بن علي" وقتلى معركة "كربلاء" :

فَيَا نَدَمِي أَلَّا أَكُونَ نَصَرْتُهُ = أَلَا كُلُّ نَفْسٍ لا تُسَدَّدُ نَادِمَهْ*
ولِلَّهِ قَوْمِي لَمْ أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهِ = لَدَى حَسْرَةٍ مَا إنْ تُفَارِقُ لَازِمَهْ
سَقَى اللَّهُ أَرْوَاحَ الَّذِينَ تَآزَرُوا(8) = عَلَى نَصْرِهِ سَقْيَا مِنَ العَيْثِ دَائِمَهْ
وَقَفْتُ عَلَى أَجْدَاثِهِمْ(9) ومَجَالِهِمْ = فَكَادَ الحَشَا يَنْفَضُّ(10) والعَيْنُ سَاجِمَهْ(11)...
فَلَئِنْ يُقْتَلُوا فَكُلُّ نَفْسٍ تَقِيَّةٍ = عَلَى الأَرْضِ قَدْ أَضْحَتْ لِذَلِكَ وَاجِمَهْ(12)..
لَعَمْرِي لَقَدْ رَاغَمْتُمُونَا(13) بِقَتْلِهِمْ = فَكَمْ نَاقِمٍ مِنَّا عَلَيْكُمْ وَنَاغِمَهْ..
فَكُفُّوا وَلَوْ لَأْدَتْكُمُ فِي كَتَائِبٍ(14) = أَشَدَّ عَلَيْكُمْ مِنْ زُحُوفِ(15) الدَّيَالِمَهْ(16)

الشرح :
1- المهند : السيف المصنوع من حديد "الهند". - 2- القطيع : السوط.
3- فذ أمية : يقصد به "معاوية بن أبي سفيان" الذي استولى على الخلافة بقوة السيف.
4- الخليع : يقصد به "الوليد بن عبد الملك". - 5- حيال : المطر الخصب الذي يحيا به الأرض.
6- تآمر : تحكم واستبد. - 7- النوكى : جمع الأنوك وهو الأشد حمقا.
8- تآزروا : تعاونوا واتحدوا. - 9- الأجداث : جمع الجدث وهو القبر.
10- ينفض : يتمزق ويتفرق قطعا. - 11- واجمة : عاجزة عن الكلام من شدة الحزن والألم.
12- راغمتمونا : عاديتمونا وأثرتم غضبنا.
13- الكتائب : جمع كتيبة، وهي القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل.
14- الزحوف : جمع الزحف، وهو الجيش الكثير الذي يمشي لمواجهة العدو.
15- الديالمة : جمع الديلم، ويراد به هنا العدو ذو البأس الشديد...
* - لا تسدد : لا تسلك الصواب.

Scanned with CamScanner